ديغول وأردوغان ... في مواجهة الذاكرة

لم يمر الأسبوع المنصرم مرور العابرين في ظلال الزمن، ورغم ضجيج الملفات العالقة وصخب الزيارات الباحث في آخر النفق عن نور يحجبه الباحثون أنفسهم، برز حدثان يستحقان التوقف عندهما، وتقليبهما والتمحص في دلالاتهما، لارتباطهما الوثيق بالقضية الاساس التي يظلم في انفاقها الوطن.

فما الذي يجمع بين تظاهرة الأرمن بوجه اردوغان التي كسرت جليداً سميكاً راكمه دور تركيا في فلسطين، والتقرب المفاجئ من طرف بدا لولهة بعيداً عن خياراتها، وبين كسر جليد الرقابة الذي راكمه الجهل فوق قرار منع عرض فيلم شو صار لديغول عيد الذي عرض اخيراً في هنغار امم بعد السماح بعرضه في مناسبات» ثقافية واكاديمية»؟

ما يجمع بينهما هو الذاكرة التي لطالما عجزنا عن مواجهتها. فبات وطننا منزوع التاريخ. ممنوعا من البحث فيه. ممنوعا من التمعن في جرائم لا يبدو ان المستقبل سيمحو اثرها. الأرمن رفضوا ان تمر الإبادة مرور الأخبار في شريط يتبدل كل ساعة، وديغول عيد رفض ان تمر مجزرة قضت فيها عائلته مرور المتسللين الى قرارات عفو اصدرها الجلادون ولم يصدرها الضحايا. الارمن وديغول جمعتهم المواجهة، هم قالوا: اعترف بجريمتك. فالاعتراف هو الخطوة الأولى في طريق المصارحة، فتحمل المسؤولية التاريخية قبل اي مسؤولية اخرى، وهو قال للقاتل: «انت قتلت امي». ليزرعه متهماً في حقل آلاف شاهدوا الفيلم في لبنان وخارجه.

رفض ان تمر الجريمة مرور المتسللين الى قرار عفو اصدره الجلادون

كيف يمكن أن تعالج جراح الوطن ان كان من المحرم النظر الى الجرح وهو لا يزال ينزف، كيف تزال التهابات الذاكرة ما دام المطلوب تضميد الجراح من دون تنظيفها، ومعرفة اسبابها ونتائجها. واي مستقبل لوطن يعفو المجرمون فيه عن انفسهم ويصبح المطالب بالحق سرطانا يُخشى منه خشية تفشي العدالة في جسد احتلت الارتكابات كل مسامه؟

ماذا حصل في الإبادة الارمنية؟ ما نعرفه مبني على شهادات ناجين فروا اطفالاً. وما لا نعرفه يرفض الجاني اخبارنا به. ماذا حصل في مجزرة ادبل التي ذهب ضحيتها آل عيد؟ ما نعرفه رواه ديغول في محاولة يتيمة، في رفض القضاء وضع اليد على حقيقة يصدق عليها المرتكبون والضحايا.

ماذا حصل في تل الزعتر، ونهر الموت، والصفرا، وعلى طريق القصر الجمهوري؟ ماذا حصل في سحمر، ومعتقل الخيام، وعشرات القرى الجنوبية؟ ماذا حصل في بيصور والدامور وسوق الغرب وغيرها؟ ماذا حصل في حلبا، والشويفات، وفي المجازر الأكثر حداثة. ماذا حصل في زواريب الشوارع والذاكرة، وخلف جدران كل بيت وكل نفس تواري الحزن خلف اقنعة الوجوه المتعايشة قسراً مع النسيان الظالم.

والأهم من كل ذلك ماذا حصل للمجرمين قبل الضحايا، كيف يعيشون اليوم واي حيلة يستخدمون لكي لا تدهمهم الذاكرة، ولكي لا تباغتهم انسانية تتمرد على سباتها المزمن في ذواتهم؟

من حقنا ان نعرف، من حقنا ان نحاسب. ومن حقنا ان تسقط من لبنان كل السواتر الداكنة التي تفصلنا عن الحقائق. وكل رقابة تمنع عنا مواجهة المرتكبين واحياء الذاكرة.

faridkamar@albaladonline.com